

عازف الناي



أحمد مكيانتي

CHIHAB Kids

أجمل حكاياتي

عَارِفُ النَّايِ



مقتبسة من حكايات الإخوة غريم
رسوم : منصور عموري



كان لما كان في قديم الزمان، في مقاطعة ساكس مدينة تدعى هاميلين، كانت مملكة
بأشوار عالية، يعيش سكانها في سعادة، لكنهم جميعاً كانوا يشربون في حبيب كبير هو
الشراقة، على طول السنة كانت روائح الأطباق تملأ فوق الأرياف على مسافة 20 كيلومتر.
غير أن أهل هاميلين استمتعوا بهذا المذاق في أحد الأيام غالياً... شغفهم كذب.



حدث الأمر ليلة عيد الميلاد لسنة 1283 بالشذيق. في تلك الليلة كان البروقار ما جدّا غير أنّ القمر كان مثيراً للغاية. كان زحل الجرمية يحاول تتبعه نفسه وهو يتجول بين الحزامية على أسوار المدينة. قنينة قنسر ولم يتركها ساكنة. ترك عينيه بهذا لكي يوضح رؤيته. لم يكن يحلم بالشهيد الذي كان يلمع جليده تحت ضوء القمر. كان يقطع خاوية تضاراً أشد كبيراً من ذئبه في الظلام... وكان يتحرك ويتنابذ نحو المدينة! إنها الجردان! جرى الحارس نحو حرس التنبية. آه يا أصدقائي! لم يرَ الناس في حياتهم مشهداً مثل هذا! كانت الجردان سبيكة سوداء ومثيرة، غيوتها حمراء تلمع كالجمهر وأشدّها خادّة ومحبّة! وكانت بالآلاف، جلستها ورائحة الطعام الشهيرة. يرتكب في راحتها بقضها يغطاه بقلعهم وتنفذ... تشهد بقضير له بدن أشجع الشجعان.





في وقت قصير وصلت الجردان مداخل المدينة فسلقت الجردان و هجعت على الجدران
 كانت الحيوانات القبيحة، الذئبة النازقة تجري في المطابخ و تهجم على مخازن المؤونة
 و على الألبان، و كانت تأكل كل شيء، عسرة، عسرة، عسرة... ملايين الجردان،
 كابوس حقيقي! كل شيء ذهب، كل مؤن الشفاء، لم تترك الجردان شيئا و لا حتى ما
 يطعم بزغوثا، لم يبق منها لا قشر ولا سرة و لا خزانة فهما كانت مملكة العلى. لم
 تعرف مملكة الإنسان حرجا مثيلا لذلك حتى في أزمنة المجاعة، فقرّر غبطة المدينة أن
 تعطي مكافأة قدرها 50 فلورنس لمن يخلص مدينة هاملين من هذا الموناء.



وفي اليوم الثالث، دخل إلى المدينة رجلٌ طويلٌ و نحيفٌ، له شفرةٌ طويلةٌ ناعمةٌ
أسودٌ كالقطن و قتيعةٌ حُضْرَاءُ، وكان يحمل جراباً ينزل إلى خصره، وبمجرد أن
دخل طلب أن يكلم عمدة المدينة. « قيل لي إن هناك 50 فتورتنس يرتشها من
بطريرك الخردان، حضروا الشكافاة إذن !

— فإذا ؟ قلت ... » ولكن الرجل لم يكن مُنصِتاً له، رآوه ينزل السلم بثبات
و يتوخه نحو الساحة الكبرى. وهناك أخرج من جرابه لاجاً صغيراً مضطجعا من
خشب أسود وراح يهزله. لا يمكن تصور ذلك المشهد العجيب. منوات بعد
الحادثة، كان شعر الهاملتين يعف عفاً نهكاً تلك المسبحة العجيب. كانت الأصابع
المرفوعة للعارف الغريب تنقل على الناي كأنها أرجل منكوبة و تخرج من بينها
أموات طرية و خربة لدرجة أن القلوب انفطرت إسماعها.



يمشي ما النطق في العرف حتى ترقف القضم العام. و فجأة توهبت الجرذان تخرج
 من تحت مكانيه. ثم مع تسارع النغم كان مثل من الحيوانات السوداء القذرة ينساب
 في اتجاهه. كانت تسارع بعضها فوق بعض، خرجت من كل الأركان و تعلقت حول
 عراف الناي الذي نداء لخصي بطنه نعر النهر و خنق الجرذان بطنه. أمتحت أصوات
 الناي لقطعة لنباط القلوب و كانتها تأتي من عالم قوتي، فجأة، و كانتها بحت، راحت
 الجرذان تنقي بنفسها في النهم الشجند و هي تعلق صرخات خلة و ترتطم بالجليد
 الذي شقق لحت لفتها، فعددت المياه ثم نزلت ميرة زيدا.





لم انتهى نخل شيء...! لم يبق جرة واحدة في هاليس. ذهبت عرافة الشاي بعمدة
 المدينة ليشترى مكافأة :
 - جئت لأخذ مالك يا خذ الخشعين كزوتز !
 - عذرا سيدي ، انت تريد ان تقول فلورنس !
 - كزوتز !
 - فلورنس !
 - كزوتز ، ماذا كنت تتصور ! انك ستعطيك 50 فلورنس فعية على هذا العمل !
 فها ، خذ الكزوتز و ارحل .
 - تم ، حاندا يا !
 مكثت عرافة الشاي و انار ظهره للعمدة و خرج من المدينة كما جاء .

في الأحد الدولي، كانت أشعة الشمس تلعب على الثلج الأبيض فتجعل الزيف كذا يفسح، و عاد الدخان يخرج من كل المداس، في شاشة الكبرى لهاتلين كان صندة المدينة يشكي وسط الضحكات عن المقلب الرائع الذي لعبه العارف الذي و كيف أنه جعله تسكن من المحافظة على الخمسين قدورهم الذهبية لمدينة المدينة... ولجأة رأوه مشدوقا، فاعز النغم ولقد استعارت عيناه، استعار الجميع لذلك، و كان... تصمورا من لا عارف الذي... إخوان أن يتكلم أحد الله الموسيقية... يا أصدقائي! كانت نعمة عذبة و فرحة تغطي الرغبة فوزا في الركني و الرقص، و تحولت أصابع العارف إلى عقارب لتفتر على التاي بصفة أسرع و أخف.



وَهَكَذَا بَدَأَ كُلُّ أَطْفَالِ هَامِلِينَ، حَتَّى الرُّضْعَ الَّذِينَ لَمْ يَتَعَلَّمُوا الْمَشْيَ نَعْدُ جِيدًا، يَرْكُضُونَ مِنْ كُلِّ جِهَاتِ الْمَدِينَةِ
وَمُكَلُّوا دَائِرَةً وَيَبْدَأُوا يَدُورُونَ وَيَدُورُونَ. وَبَدَأَ الْغَارِفُ يَمْشِي كَمَا فِي الْمَرَّةِ السَّابِقَةِ... إِرْتَعَبَ الْآبَاءُ وَحَاوَلُوا
الْإِمْسَاكَ بِأَيْتَانِهِمْ، أَوْ مَنَعِهِمْ مِنَ الرُّكُضِ، لَكِنْ أَقْدَامُهُمْ كَانَتْ مَغْرُوسَةً فِي الْأَرْضِ وَكَأَنَّهَا تَحْتَ تَأْثِيرِ سِحْرِ قَوِيٍّ.
كَانَتْ نَعِمَاتُ النَّايِ تَتَسَارَعُ أَكْثَرَ فَاكْثَرَ، خَرَجَ الرَّجُلُ الْغَرِيبُ ذُو الشَّعْرِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْمَدِينَةِ، قَطَعَ السَّهْلَ وَدَخَلَ فِي
مَغَارَةٍ فِي الْجَبَلِ. تَبِعَهُ كُلُّ الْأَطْفَالِ وَلَمْ يَظْهَرُوا بَعْدَهَا أَبَدًا أَبَدًا.

